مفهوم الفطرة وتطبيقاته من خلال تفسير الإمام ابن عاشور
"دراسة موضوعية تحليلية"

إعداد

عبد الحفيظ محمد مخلص

الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

٢٠١٨م

مفهوم الفطرة وتطبيقاته من خلال تفسير الإمام ابن عاشور
"دراسة موضوعية تحليلية"

إعداد

عبد الحفيظ محمد مخلص

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث

قسم القرآن والسنة
كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

فبراير ٢٠١٨م

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة مفهوم الفطرة وتطبيقاته من خلال تفسير الإمام ابن عاشور خاصة، ومن خلال ما تيسر الوصول إليه في كتبه، ومقالاته المتعددة المتعلقة بموضوع البحث، مع بيانها، وتحليلها، وتوضيحًا لآراء العلماء والكتّاب والباحثين. وتهدف الدراسة إلى الكشف عن مفهوم الفطرة وأصالته في تنشئة الإنسان بتتبع آراء الإمام ابن عاشور، وإبراز أهم التطبيقات العملية في سبيل المحافظة على الفطرة السوية، وإصلاحها من الانحراف والتبدّل. وقد نهج الباحث في سبيل تحقيق ذلك منهجَي الاستقراء، والتحليل. استهلت الدراسة بتناول مفهوم الفطرة بالتعريف وبيان أقسامها، وخصائصها مع ذكر موقف الإسلام منها، ثم ثنّت الدراسة بذكر وبيان أسباب الانحراف عن الفطرة الإنسانية في رأي الإمام ابن عاشور، ثم ثلّثت بالكشف عن آراء الإمام ابن عاشور عن الطرق الأصيلة التي وظّفها الإسلام في سبيل الحفاظ على الفطرة وخدمتها؛ حتى تكون مهيئةً للقبول في قلوب الناس، وأخيرًا ذكرت الدراسة أهم التطبيقات العملية لمفهوم الفطرة في المجال العقدي، والأخلاقي، والتشريعي، وأخيرًا الاجتماعي. وخلصت الدراسة إلى أن مفهوم الفطرة من أبرز المفاهيم التي وردت في دراسات ابن عاشور ومباحثه؛ إذ جعله أصلاً عامًا جامعًا لكليات الإسلام، وركيزةً لفهم مناحي التشريع والاستنباط. ويظهر هذا الأمر جليًا عند ذكره للمفاهيم الأصيلة في الإسلام مثل: التوحيد، والمساواة، والحرية، والعدل، والسماحة رابطًا كل تلك المفاهيم بالفطرة ربطًا محكمًا إثباتًا للعلاقة الوطيدة بينهما، حتى اتتضحت معالمها، ويُعَدُّ عِقْدها لتكون نبراسًا يهتدى بها في سبيل الحافظ على الفطرة، والحذر من خرقها واختلالها.

ABSTRACT

This study deals with the concept of *fiṭrah* and its applications according to the Qur'ānic exegesis of Ibn ʿĀshūr in his books and various articles related to the topic. Additionally this thesis will state, analyse and clarify the views of scholars, authors and researchers. This study aims to reveal the concept of *fiṭrah* and its innateness in the human structure by following the views of Imām Ibn ʿĀshūr, to project the most important practical applications in preserving sound *fiṭrah* and to preserve it from deviation and alteration. In order to achieve these objectives, the researcher followed the inductive and analytical approach. The study commences by defining the concept of *fiṭrah* and clarifying its categories and characteristics, while mentioning the Islamic stance towards it. The study then went on to mention and clarify the reasons behind deviation from human innate nature (*fiṭrah*) according to the view of Imām Ibn ʿĀshūr. Thirdly, the study reveals Imām Ibn ʿĀshūr's views regarding the most appropriate methods applied in Islam to preserve *fiṭrah* and make it acceptable to people's hearts. Finally, the study mentions the most important practical applications regarding the concept of *fiṭrah* in terms of creed, morals, legislation and society. The study concludes that the concept of *fiṭrah* is among the most prominent concepts mentioned in the studies and themes of Ibn ʿĀshūr, who considered it to be a general basis encompassing the main aspects of Islam, and a pillar in understanding the aspects of legislation and derivation of rulings (*istinbāṭ*). This point becomes clearly evident as he mentioned about the basic concepts of Islam, such as monotheism (*tawḥīd*), equality (*musāwāh*), freedom (*ḥurrīyah*), justice (*ʿadl*) and tolerance (*samāḥah*). Then, he firmly linked between all of these concepts and *fiṭrah* by clarifying the firm relationship between them, with clear signs and sequential steps, making it a beacon of guidance that preserves *fiṭrah* and serves as an admonition against transgressing against it and bringing defectiveness to it.

APPROVAL PAGE

The thesis of Abdul Hafiz Muhamad Muklis has been approved by the following:

Radwan Jamal Elatrash
Supervisor

Ammar Fadzil
Internal Examiner

Afaf Abdul Ghafur Hamid
External Examiner

Muhammad Mustaqim B. Mohd Zarif
External Examiner

Mohamed Elwathig saeed Mirghani
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Abdul Hafiz Muhamad Muklis

Signature: ..... Date: 1-3-2018

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٨م محفوظة لـ: عبد الحفيظ محمد مخلص

مفهوم الفطرة وتطبيقاته من خلال تفسير الإمام ابن عاشور
"دراسة موضوعية تحليلية"

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: عبد الحفيظ محمد مخلص

التوقيع: .....

التاريخ: ١/٣/٢٠١٨م

إلى شيخ الزيتونة العلامة محمد الطاهر بن عاشور

والآل والصحب الكرام ﷺالروح الطاهرة والنفس المطمئنة بجوار الحبيب المصطفى (إن شاء الله)

تراثك الأصيل ... غمرني بالعلم والأدب، وحملني على مواصلة السير في طريق العلم

إلى الوالد...رمز الكفاح والجد (تغمده الله برحمته)

عنايتك ورعايتك.. كان دافعاً لي لمواصلة المسير نحو الهدف..

إلى الوالدة... رمز الصبر ونبع الحنان (أطال الله في عمرها)

دعاؤك وابتهالاتك وتشجيعك... كان حافزا لي على المثابرة والجد والكفاح

إلى زوجتي ورفيقة دربي في الحياة (حفظها الله)

مساندتك واصطبارك... كان أكبر معين لي على مصاعب الحياة ومعتركها

إلى أبنائي وبناتي وفلذات كبدي (حماهم الله)

ضحكاتكم البريئة... أوقدت فيّ العزم، وهوّنت عليّ كل عسير

الشكر والتقدير

أحمد الله جلّ ثناؤه على جزيل نعمائه، وأشكره على حسن توفيقه بأن أنعم عليّ بكرمه وعظيم فضله بإتمام هذه الرسالة وإنجاز هذا العمل، أشكره تعالى ولا أحصي ثناء عليه. والصلاة والسلام على أكرم البشرية، وأفضل الأنبياء والرسل، نبيّنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. وبعد هذا أجد لزاماً عليّ أن أتقدم بخالص الشكر وأجزل العرفان لأستاذي الدكتور: ليث سعود جاسم، وأستاذي الدكتور: رضوان جمال حسين الأطرش-حفظهما الله ورعاهما- اللذين أشرفا على هذا البحث، والذي وجدت فيهما الأستاذ الناصح، والمربي الشفيق، والعالم الفاضل، والناقد الخبير، فكم استفدت من توجيهاتهما السديدة، فجزاهما الله عني خير الجزاء. كما أتوجه بالشكر والعرفان على كل من الأستاذة المشاركة: عفاف عبد الغفور حامد ممتحناً خارجيا للبحث، والأستاذ المشارك: محمد مستقيم بن محمد ظريف ممتحناً خارجياً، ونظيره الأستاذ المشارك: عمّار فزلي الممتحن الداخلي، والأستاذ المشارك محمد الواثق سعيد مرغاني مقرر جلسة المناقشة، فهم من أعطوا البحث -بملاحظاتهم القيّمة، ومناقشاتهم الموضوعية- قيمته العلمية المأمولة، فلهم جميعاً كل التقدير والعرفان. وتقديراً لجهود الجامعة الإسلامية العالمية رئاسة وأساتذة وموظفين في خدمة العلم وأهله، أشكرهم جميعاً، ثم لكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ورئاسة قسم دراسات القرآن والسنة، وإلى جميع الأساتذة الفضلاء الذين تعلمت منهم العلم، والفضيلة، والأدب. ولا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بكامل الشكر والعرفان لكل من كان سبباً في التحاقي ومواصلتي للدراسة في قسم الدراسات العليا في هذه الجامعة الإسلامية العالمية، ولكل من كان له الفضل في إعانتي على إنجاز هذا العمل، والحمد لله أولا وأخيراً.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث ..... ب

ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج

صفحة القبول ..... د

صفحة الإقرار ..... هـ

صفحة الإقرار بحقوق الطبع ..... و

الإهداء ..... ز

الشكر والتقدير ..... ح

الفصل الأول: المدخل إلى البحث ١

المقدمة ١

مشكلة البحث ٣

أسئلة البحث ٤

أهداف البحث ٤

أهمية البحث ٥

منهجية البحث ٥

الدراسات السابقة: ٥

هيكل البحث العام ١٥

الفصل الثاني: التعريف بالفطرة وبيان موقف الإسلام منها عند ابن عاشور ١٨

المبحث الأول: تعريف الفطرة لغة واصطلاحا ١٨

المطلب الأول: معنى الفطرة لغة ١٨

المطلب الثاني: معنى الفطرة اصطلاحا ٢٠

المبحث الثاني: أقسام الفطرة الإنسانية. ٢٨

المطلب الأول: الفطرة الجسدية. ٢٩

المطلب الثاني: الفطرة الباطنة. ٣٢

أولاً: فطرية توحيد الله ومعرفته. ٣٣

ثانياً: فطرية إدراك الكمال والنقص في الأفعال ٣٦

ثالثاً: المبادئ الفطرية أو البديهيات العقلية. ٤٠

المبحث الثالث: خصائص الفطرة الإنسانية. ٤٥

المطلب الأول: أنها فطرة سامية شريفة. ٤٥

المطلب الثاني: أنها فطرة ثابتة راسخة. ٤٩

المطلب الثالث: أنها فطرة ملهمة عاقلة. ٥١

المطلب الرابع: أنها فطرة عامة شاملة. ٥٤

المبحث الرابع: موقف الإسلام من الفطرة الإنسانية. ٥٦

المطلب الأول : إقرار الدين للفطرة. ٥٦

المطلب الثاني: موافقة الدين الفطرة. ٥٩

المطلب الثالث: تنظيم الفطرة. ٦٠

المطلب الرابع: تزكية الفطرة. ٦٢

الفصل الثالث: أسباب الانحراف عن الفطرة السوية في تفسير الإمام ابن عاشور ٦٤

المبحث الأول: الخلل العقلي أو العضوي ٦٤

المطلب الأول: معنى الخلل العقلي. ٦٥

المطلب الثاني: أسباب الخلل العقلي ٦٦

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل الولادة ٦٦

المرحلة الثانية: مرحلة أثناء الولادة ٦٧

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد الولادة ٦٧

المطلب الثالث: أعراض الخلل العقلي وعلاماته. ٦٨

المبحث الثاني: القوى الشهوية والغضبية. ٧٣

المطلب الأول: تعريف الشهوة. ٧٥

المطلب الثاني: أنواع الشهوات. ٧٦

الشهوات المقصودة لذاتها. ٧٦

الشهوات المقصودة لغيرها ٧٩

المطلب الثالث: تعريف الغضب ٨٠

المطلب الرابع: أنواع الغضب. ٨١

المبحث الثالث: خواطر خيالية مما توسوس به النفس يعمل صاحبها على تحقيقها. ٨٥

المطلب الأول: معنى الخواطر ٨٦

المطلب الثاني: أنواع الخواطر ٨٧

خواطر الخير ٨٨

خواطر الشر ٨٩

خاطر العقل ٩١

المبحث الرابع: دواعٍ حاجية أو تكميلية يعتادها الفرد فتصبح طبيعة وسجية. ٩٧

المطلب الأول: معنى الدواعي الحاجية ٩٨

المطلب الثاني: الدواعي التحسينية"التكميلية" ١٠٠
المطلب الثالث: ترتيب الدواعي ١٠٣
المبحث الخامس: البيئة ووسائل الإعلام. ١٠٥
المطلب الأول: تعريف البيئة..... ١٠٦
أولاً: الأسرة ١٠٦
ثانياً: المدرسة ١٠٩
ثالثاً: المجتمع ١١١
رابعاً: وسائل الإعلام ١١٤

الفصل الرابع: طرق تأصيل الحفاظ على الفطرة السوية في تفسير الإمام ابن عاشور ١١٨

المبحث الأول: إصلاح العقيدة، وصراحة أصول الدين ١١٨
المطلب الأول: معنى إصلاح العقيدة..... ١١٩
المطلب الثاني: منهج الإسلام في إصلاح العقيدة ١٢٢
منهج التفصيل..... ١٢٢
سد ذرائع الشرك واجتثاث عروقه..... ١٢٤
منهج التعليل ١٢٤
المطلب الثالث: صراحة أصول الدين..... ١٢٥
المبحث الثاني: الجمع بين صلاح النفس بالتزكية، وصلاح الحياة بالتشريع ١٣٢
المطلب الأول: تزكية النفس ١٣٣
المطلب الثاني: التشريع ١٣٥
المبحث الثالث: إقامة الحجة ومجادلة المخاطبين، وتعليل الأحكام ١٤٠
المطلب الأول: الأسلوب الحكيم"الخطاب العقلي الاستدلالي" ١٤١
المطلب الثاني: الأسلوب الوعظي"الخطاب العاطفي والنفسي"..... ١٤٦

المطلب الثالث: الأسلوب الجدلي"الخطاب الاحتجاجي" ١٤٨
المبحث الرابع: عموم الشريعة ودوامها..... ١٥٢
المطلب الأول: عوامل السعة والمرونة ١٥٤
المطلب الثاني: تحقيق المصالح..... ١٥٦
المطلب الثالث: سعة المجال أمام السياسة الشرعية. ١٥٨
المبحث الخامس: الإقلال من التفريع في الأحكام، والإكثار من
الأصول"الكليات" ١٦٠
المبحث السادس: حمل الناس على الخير بسدِّ الذرائع..... ١٦٥
المطلب الأول: معنى سد الذرائع..... ١٦٥
المطلب الثاني: الأدلة على قاعدة سد الذرائع ١٦٦
المطلب الثالث: أقسام الذرائع..... ١٦٨
المبحث السابع: السماحة والرأفة بالناس بالتيسير عليهم. ١٧١
المطلب الأول: تشريع الرخصة ١٧٣
المطلب الثاني: النهي عن الغلو ١٧٥
المطلب الثالث: عدم المؤاخذة عن الخطأ والنسيان ١٧٧
المطلب الرابع: أن الأصل في الأشياء الإباحة..... ١٧٩
المبحث الثامن: امتزاج الشريعة بالسلطان ١٨٢
المطلب الأول: أهمية الحكومة الإسلامية ١٨٢
المطلب الثاني: طريقة تعيين الخليفة..... ١٨٤
المطلب الثالث: أهم المبادئ التي تبنى عليها الحكومة الإسلامية ١٨٥
أولاً: لا حكم إلا لله ١٨٥
ثانياً: الجامعة الإسلامية ١٨٧
ثالثاً: المساواة ١٨٨
رابعاً: العدل ١٨٨
خامساً: الحرية ١٨٩

سادساً: الشورى ١٩٠

الفصل الخامس: تطبيقات على مفهوم الفطرة عند الإمام ابن عاشور ١٩٢

المبحث الأول: تطبيقات في المجال العقدي ١٩٢

المطلب الأول: معرفة الله سبحانه وتعالى ١٩٣

المطلب الثاني: التديّن ١٩٧

المطلب الثالث: العقيدة الإسلامية ١٩٩

المبحث الثاني: تطبيقات في المجال الأخلاقي ٢٠٥

المطلب الأول: فهم طبيعة الجبلة الإنسانية ٢٠٥

الأخلاق الفطرية ٢٠٧

الأخلاق المكتسبة ٢٠٨

المطلب الثاني: التحلي بالجمال الخُلُقي ٢٠٩

المطلب الثالث: التخلق بمكارم الأخلاق ٢١١

المبحث الثالث: تطبيقات في المجال التشريعي ٢٢٠

المطلب الأول: السماحة. ٢٢١

المطلب الثاني: تحقيق الصلاح ٢٢٣

المطلب الثالث: اتصاف الشريعة بالعموم ٢٢٥

المطلب الرابع: التيسير ورفع المشقة ٢٢٧

المطلب الخامس: مقصد الشريعة من التشريع: تغيير وتقرير ٢٢٩

المطلب السادس: سد الذرائع. ٢٣٢

المبحث الرابع: تطبيقات في المجال الاجتماعي ٢٣٤

المطلب الأول: المبادئ والأصول العامة في تأسيس النظام الاجتماع

الإسلامي ٢٣٥

المطلب الثاني: أصول صلاح الأفراد ٢٣٩

إصلاح الاعتقاد. ٢٣٩
إصلاح التفكير. ٢٤٠
إصلاح العمل ٢٤١
المطلب الثالث: الإصلاح الاجتماعي ٢٤٢
الأصول الضابطة لتصرفات الناس بعضهم ببعض والموكولة للوازع
النفساني. ٢٤٣
الأصول الضابطة في رعاية خيرية الأمة والذود عنها سياسيا
والموكولة إلى الساسة وأهل الحل والعقد. ٢٤٥
الحرية ٢٤٨
العدل ٢٥٠
مال الأمة ٢٥٢
التسامح ٢٥٣

الخاتمة ٢٥٦

نتائج البحث وتوصياته ٢٥٦
أولا: نتائج البحث ٢٥٦
ثانيا: توصيات البحث ٢٥٩

قائمة المصادر والمراجع ٢٦٠

أولا: المصادر الأساسية ٢٦٠
ثانياً: المصادر التراثية ٢٦٠
ثالثاً: المراجع الحديثة ٢٦٨
رابعاً: الأطروحات والرسائل الجامعية ٢٧٦
خامساً: البحوث والمقالات ومواقع الشبكة العنكبوتية العالمية ٢٧٧

سادساً: المراجع الأجنبية ٢٧٨

الفصل الأول
المدخل إلى البحث

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على سائر المخلوقين، وكرمه بالعلم واليقين، وأسجد له الملائكة المقربين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد!

فممّا لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى كرّم الإنسان على سائر خلقه، وفضله بما حباه من جزيل نعمه وآلائه قال تعالى: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ ومن صور هذا التفضيل أن أودع فيه جوهرة نفيسة، ونعمة جزيلة، ألا وهي الفطرة التي شرّفها الله تعالى بإضافتها إلى نفسه العلية فقال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[سورة الروم: ٣٠].

والفطرة من ألصق المفاهيم وأقربها للإسلام، بل هي أصل من أصول الإسلام، والجامع لحقيقة دين الإسلام، وقد اختص الله تعالى الإسلام بهذا الوصف، ولذلك فقد اهتم به العلماء والكتّاب؛ فأولوه العناية من خلال الحديث عنه في ثنايا كثير من الدراسات الإسلامية والتربوية والاجتماعية والفلسفية.

إلا أن هذا المفهوم الإسلامي الأصيل أخذ في الابتعاد عن عقول الناس وخرج عن دائرة اهتمام الأسرة والمجتمع، وذلك بسبب أن النظريات الاجتماعية والنفسية المعاصرة المنحرفة قامت بدراسة الفطرة الإنسانية بمعزل عن خالقها، واقتصرت على الجانب البيولوجي وغضت الطرف عن الجانب الروحي، وأدت تلك النظرة الجزئية إلى إعطاء صورة خاطئة ومشوهة عن الإنسان.

ففسدت فطرة كثير من الناس واختلطت الأمور واضطربت التصورات فأصبح الحق باطلاً، والباطل حقاً، وأضحت الأمم في تخبط نفسي، واجتماعي، وفكري، وثقافي، وسياسي

أدَّى إلى كوارث إنسانية، وثورات شعبية، ومصاعب اقتصادية، ولا سبيل إلى الخروج من هذه المشاكل وتلك الكوارث إلا برجوع الإنسانية إلى فطرتها الطاهرة النقية من خلال الاسترشاد بالوحي السماوي، وإعمال العقل السليم في جميع أمورها.

ولذلك كان لزاماً على الكتاب والباحثين الاسهام في توضيح حقيقة الفطرة الإنسانية، والسبل الكفيلة لإنمائها والمحافظة عليها من التحريف والانحراف، ويأتي هذا البحث محاولة من الباحث في ملء الفراغ من خلال النظر فيما تركه لنا علماؤنا، وما أضافه كُتَّابنا عن مفهوم الفطرة الإنسانية، لا سيما وأن أغلب الدراسات[1] في مفهوم الفطرة كانت دراسات نفسية، وتربوية، وتشريعية، وفلسفية، ولم يكن للدراسات التفسيرية إسهام مقدّر في بيان مفهوم الفطرة، مع أن هذا المفهوم كان له ظهور جليٌّ في كثير من كتب التفسير المعاصرة، والتي اعتنت بالتأصيل الإسلامي والإصلاح الاجتماعي، ومن بين تلك التفاسير تفسير جليل وفريد، ويعدّ من أهم كتب التفسير في العصر الحديث[2]، وقد نوّه به كثير من العلماء والدعاة والباحثين[3]، ألا وهو"تفسير التحرير والتنوير" لشيخ الزيتونة الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله.

---

[1] سيأتي ذكر بعض تلك الدراسات عند الحديث عن الدراسات السابقة.

[2] لقد أثرى هذا التفسير المكتبة العربية والإسلامية وخاصة في مجال البلاغة القرآنية، والإعجاز البياني للقرآن أو ما يمكن أن يطلق عليه بفن دقائق البلاغة حيث يقول ابن عاشور في خطبة الكتاب: " وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكن فناً من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة، هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصو الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن، كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر. وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال" محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**(بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ٢٠٠٠م) ج١، ص٨.

[3] ومن جملة من أثنى على ابن عاشور من علماء عصره شيخ الجامع الأزهر محمد الخضر حسين-رحمه الله- حيث قال: " وللإستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان. ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة... كنت أرى فيه لسانا لهجته الصدق، وسريرة نقية من كل خاطر سيِّء، وهمة طماحة إلى المعالى، وجِدّاً في العمل لا يمسه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم".انظر: محمد الخضر حسين، **تونس وجامع الزيتونة**(بيروت: دار النوادر، ط١٤٢١،١هـ٢٠١٠م) ص١٢٥-١٢٦. وقال عنه محمد الغزالي: "هو رجل القرآن الكريم، وإمام الثقافية الإسلامية المعاصرة... الرجل بدأ يتكلم عن اللغة، ويتكلم بها أديباً.. أقرأُ كلماته في التحرير والتنوير فأستغرب لأنه وطأ كلمات مستغربة وجعلها مألوفه، وحرر الجملة العربية من بعض الخبات الذي أصابها في أيام انحدار الأدب في عصوره الأخيرة.

ويأتي هذا البحث وهو بعنوان: **(مفهوم الفطرة وتطبيقاته من خلال تفسير الإمام ابن عاشور)** ليسلّط الضوء على مفهوم الفطرة، والكلام على أثر ذلك المفهوم في تفسير العلامة ابن عاشور، مع البيان والتحليل والتوضيح لآراء العلماء والكتاب والباحثين، والله أسأل أن يلهمني الصواب والسداد، وأن يوفقني لكل خير فهو أكرم من سأل وأعظم من يُرجى.

مشكلة البحث

ابتليت الإنسانية في هذا العصر بكثير من العقائد والمذاهب التي اضمحلّت فيها كثير من المعاني الأساسية والمفاهيم الأصيلة مثل مفهوم الفطرة الذي اختلفت فيه الأفهام والتصورات عند علماء النفس والاجتماع المعاصرين. وتكمن مشكلة البحث في ضرورة الكشف عن هذا المفهوم وأصالته في تكوين الإنسان وليس هو وليد البيئة وحدها، وسيتتبع الباحث هذا المفهوم وتطبيقاته من خلال تفسير العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور –رحمه الله– (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) المعروف بتفسير التحرير والتنوير، وبعضاً من مؤلفاته ومباحثه التي أشار إليها في التفسير.

وعلى هذا فإن هذا البحث المتواضع سيبرز التطبيقات التي بيّنها الشيخ ابن عاشور، وجمع تلك التطبيقات المتناثرة حتى ينتظم عقدها وتتضح معالمها فتكون نبراساً يُهتدَى بها في سبيل المحافظة على الفطرة السليمة، وإصلاحها من الانحراف والتبدل.

ولكن الرجل لم يلق حظه... ابن عاشور لا يمثل صورة من اللحم والدم، إنما يمثل تراثاً أدبياً علمياً عقائدياً أخلاقياً ".انظر:(مجلة الوعي الإسلامي، عدد ٢٨، السنة الحادية عشرة، أبريل ١٩٨٦م) ص ٤٤. هذا وقد نوه الباحث أيمن بن غازي بن حسين صابر إلى كثرة الرسائل العلمية والمؤلفات والمقالات التي كتبت على تفسير التحرير والتنوير وعدَّدَ بعض تلك الرسائل وأوصلها إلى أكثر من أربعين رسالةً علمية مما يدل على غزارة وثراء العلم في هذا التفسير. انظر: أيمن بن غازي بن حسين صابر، **الاستنباطات عند العلامة محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير جمعاً ودراسةً** (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م) ص ١١-١٥.

أسئلة البحث

يمكن تلخيص أسئلة البحث في الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم الفطرة الإنسانية، ومكانتها في الإسلام من خلال تفسير الإمام ابن عاشور؟

٢. ما أسباب الانحراف عن الفطرة السوية من خلال تفسير الإمام ابن عاشور؟

٣. ما أهم مظاهر تأصيل مفهوم الفطرة وإصلاحها من خلال تفسير الإمام ابن عاشور؟

٤. ما أهم تطبيقات مفهوم الفطرة عند الإمام ابن عاشور؟

أهداف البحث

تتلخص أهداف البحث في الأمور الآتية:

١. بيان المفهوم الصحيح للفطرة في الإسلام مع بيان مكانته وأهميته من خلال تفسير الإمام ابن عاشور.

٢. الكشف عن أسباب الانحراف عن الفطرة السوية من خلال تفسير الإمام ابن عاشور.

٣. بيان لأهم مظاهر تأصيل وإصلاح الفطرة من خلال تفسير الإمام ابن عاشور.

٤. بيان أهمّ تطبيقات الفطرة عند الإمام ابن عاشور.

أهمية البحث

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال كونها: -

تتناول مفهوم الفطرة بالدراسة والبيان، فهي الجوهر المودع في الإنسانية، وبكمالها واستقامتها تستقيم أمور الإنسان، وبقصورها وانحرافها تنحرف الإنسانية عن المسار السوي.

إبراز جهود شيخ الزيتونة العلامة الإمام ابن عاشور، وهو علم من أعلام العصر الحديث، والذي سعى جاهدا في النهوض بالأمة من خلال إصلاح النفوس والسلوك بمناهج الفطرة، ورفع مكانتها من خلال مؤلفاته وكتبه والتي اتصفت بالأصالة والجدة والإبداع.

رسمُ تصورٍ واضح لمفهوم الفطرة بأبعاده المختلفة، والاعتماد في ذلك على أمثلة تطبيقية عملية من خلال مباحث ودراسات العلامة ابن عاشور رحمه الله في تفسيره.

منهجية البحث

اعتمد الباحث في الدراسة على منهجين أساسين وهما:

١. **المنهج الاستقرائي**: ويظهر في تتبع واستقراء جملة رؤى وآراء العلامة ابن عاشور في قضايا الفطرة المختلفة، ثم يتبع ذلك النظر في رؤى وآراء غيره من العلماء والكتاب والباحثين في عصره.
٢. **المنهج التحليلي**: بتحليل آراء العلامة ابن عاشور المتعلقة بالفطرة، وبيانها بالشرح والتوضيح، وبيان أهميتها العلمية في جوانب التطبيق.

الدراسات السابقة:

بعد الرجوع إلى مظان الكتب والدراسات والمجلات والدوريات التي تحدثت عن مفهوم الفطرة وجد الباحث في المصادر تنوعاً في الكتب والأبحاث الجامعية والمقالات العلمية التي تناولت مفهوم الفطرة سواء العربية منها أو الأجنبية، ومن أهم هذه الدراسات:

دعوة الفطرة، للدكتور: يوسف محيي الدين أبو هلالة[٤]. كتاب عنى فيه مؤلفه بتجلية مفهوم الفطرة وذلك بتعريفه، وبيان أركانه، ودوافع الفطرة وضوابطها وسننها، مع بيان علاقة العقيدة والعبادات والتشريعات والأخلاق بالفطرة التي يدعو إليها الإسلام وينادي بها، كل ذلك بلغة سهلة مختصرة، اعتمد فيها الكاتب بالجانب الوصفي الاستقرائي. ومن الملاحظ أن هذه الدراسة مختصرة ولم تستوعب جوانب المواضيع المطروحة مع عدم التنظيم المنطقي لمباحث الكتاب، علاوة على أن الكاتب لم يبيّن أهم النتائج التي وصل إليها في دراسته للفطرة، ولكنه ختمها بخاتمة، وصف فيها حال كثير من المسلمين الذين زلزلت أركان فطرهم فغلت عقولهم، وغفلت قلوبهم، وحذر من جهود بذلت لتقنع المسلمين بدين غير دينهم، وإن إنكار الفطرة لكثير من آرائهم كفيل في التعريف بهم، ثم وصف العقيدة الصحيحة والعبادات في الإسلام وأن ملاك ذلك كله هو القرآن الكريم، وختمها بآية الفطرة من سورة الروم. وهذا البحث سيستدرك النقص الذي ورد في هذه الدراسة من حيث تأصيل مفهوم الفطرة، وبيان المظاهر الأصيلة في إصلاحها، والكشف عن أسباب الإنحراف فيها.

فطرة الله التي فطر الناس عليها، للدكتور: أحمد حسن فرحات[٥]. وهو عبارة عن بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي حاول فيها المؤلف دراسة مصطلح الفطرة وتحديد مدلوله واجتلاء مفهومه، من خلال النظر في المعنى اللغوي للكلمة وتتبع استعمال مادتها في القرآن الكريم، وما قاله المفسرون والعلماء في صدد تفسيرهم للنصوص القرآنية والحديثية. إلا أن المؤلف حفظه الله لم يقم بتبويب البحث، وإنّما استعرض موضوعات البحث استعراضاً بدأ فيه ببيان الفطرة في تفسير القرطبي واختلاف العلماء فيه، ومن ثم مناقشة الأدلة التي اعتمد عليها القرطبي وكل ذلك إشعاراً من المؤلف للقارئ بأهمية الموضوع وكثرة الاختلاف فيه، وبعد ذلك استعرض المؤلف للدلالة اللغوية لكلمة الفطرة والاستعمال القرآني له في القرآن، وخلص المؤلف إلى أن التوحيد هو فطرة الكون واستدل بدليل القنوت والسجود والتسبيح والتسليم العام لكل ما في السموات والأرض من المخلوقات طوعاً أو كرها، ونشأ من التوحيد الفطري هداية فطرية غريزية تصلح بها حياة كل مخلوق في شؤونه الخاصة وفي صلته بخالقه، والإنسان

---

[٤] يوسف محيي الدين أبو هلالة، **دعوة الفطرة** (الرياض: دار العاصمة، دط، ١٩٨٧م).

[٥] أحمد حسن فرحات، **فطرة الله التي فطر الناس عليها**، (عمّان: دار البشير للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)

يشترك مع المخلوقات الأخر في التوحيد الفطري والهداية الفطرية إلا أنه في الإنسان أكمل وأجمل لتكريم الله تعالى له، فالتوحيد شيء ثابت أصيل لدى البشر، عميق الجذور في النفس الإنسانية، شديدة الالتصاق بها إلا أن الغفلة عنها بعد الكبر أمر ممكن الحدوث، بسبب عدم استعمال الحواس والغفلة عن آيات الله، وعن التعاليم الإلهية، وتأثير البيئة المنحرفة والتقليد الأعمى. والبحث في حقيقته أقرب إلى مقالة منه إلى بحث متكامل الفصول والأبواب، ولذلك لم يختمه بخاتمة.

الإسلام ونزعة الفطرة، لمحمد عبد الرؤوف بهنسي[٦]. وهي رسالة موجزة في نقد مذاهب النزعة الفطرية من الوجهة الإسلامية، على ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد عرض المؤلف في كتابه لآراء فلاسفة الغرب، وآراء فلاسفة الشرق، وثلث بالوجهة الإسلامية في نزعة الفطرة، ثم ذكر الاختلاف الوارد في معنى حديث الفطرة، (كل مولود يولد على الفطرة) وختم الرسالة ببحث موجز عن معنى الخير عند الغربيين والشرقيين وتلاه بالوجهة الإسلامية في معنى الخير. ويلحظ على الكتاب الخلط الواضح بين مفهومين مختلفين وهما مفهوم القدر ومفهوم الفطرة، وجراء هذا الخلط حصل الخلل في تقسيم الفطرة إلى فطرة ميثاق وفطرة ميلاد، وتعدد أمر الفطرة إلى فطرة أولى وفطرة ثانية، وأن الناس مفطورون إما على خير أو شر، أو مترجحون بين الخير والشر. وسيستدرك هذا البحث الخلط الذي وقع فيه صاحب الكتاب لمفهوم الفطرة ببيان مفهوم الفطرة والكشف عن أهم مظاهر تأصيل مفهوم الفطرة وإصلاحها من خلال تفسير الإمام ابن عاشور.

فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها، للدكتور: أحمد بن سعد حمدان[٧]. وهي دراسة تشتمل على عرض موجز لبيان فطرية معرفة الله عز وجل في النفس الإنسانية وموقف المتكلمين منها وما أحدثوه من مناهج دخيلة أدت إلى مفاسد عقدية متعددة كانت سببا في تفريق الأمة وتمزيقها إلى فرق وطوائف. وقد مهد الباحث دراسته بعرض موجز في بيان معنى معرفة الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة، وثنى بالكلام عن حديث الميثاق سندا ومتنا، وثلث بالكلام عن

---

[٦] محمد عبد الرؤوف بنهسي، **الإسلام ونزعة الفطرة**، (القاهرة: مصر، مؤسسة الخليج العربي، ط ٢، ١٤٠٧هـ\١٩٨٧م).

[٧] **أحمد** بن سعد حمدان، **فطرية المعرفة وموقف المتكلمين منها**، (الرياض: المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٥-١٩٩٤م).